**تفسير الآيات من [59 – 65] ما يصيب المنافقين بسبب نفاقهم، ونصيحة رسول الله لهم**

بحث فى علم التفسير

إعداد / *د. وليد علي الطنطاوي*

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

***waleed.eltantawy@mediu.edu.my***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى ما يصيب المنافقين بسبب نفاقهم، ونصيحة رسول الله لهم**

**الكلمات المفتاحية – المنافقون، يصيب، رسول الله**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة ما يصيب المنافقين بسبب نفاقهم، ونصيحة رسول الله لهم**

* **.عنوان المقال**

**يقول تعالى: {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ}.**

**يذكر  أنهم بنفاقهم وبالتوائهم يعرضون أنفسهم للوقوع في عدة أهوال وأحوال، هي من المصائب التي لا بد أن تصيبهم.**

**ويمكن أن تكون هذه المصيبة أيّ مصيبة، وأي بلاء يحل بهم، لا يجدون حلًا لإزالة ما نزل بهم إلا أن يلجئوا لرسول الله  فهو  الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، هذا نبي الرحمة، وهم يعلمون ذلك تمام العلم، ويدركون أنهم لن ينفعهم إذا ما نزل بهم أي بلاء إلا أن يلجئوا لرسول الله  فكيف سيكون حالهم عند وقوع هذا البلاء الذي حل بهم، وحضور هؤلاء بين يدي رسول الله ؟**

**إنهم حين يأتون إلى رسول الله  تراهم على هذا التناقض، يحلفون كاذبين بأنهم ما ذهبوا لغيره، وطلبوا حكم غيره، وما فعلوا ما فعلوا إلا إحسانًا وتوفيقًا.**

**كأنهم يريدون أن يقولوا بأنهم ذهبوا إلى هؤلاء الأعداء من أجل المداراة والمصانعة، وأنهم لا يعتقدون في حكمهم أنه صحيح، لكنهم ذهبوا لهذا السبب. وأقد أخبر الله تعالى عنهم في مثل هذا المقام فقال: {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ} [المائدة: 52، 53].**

**يقول تعالى: {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ} يسأل الله سؤال إنكار وتعجب من حال هؤلاء، ينكر على هؤلاء القوم سلوكهم، ويتعجب من حالهم، كيف أنهم كانوا يحاولون بكل ما وسعهم من جهد أن يبتعدوا عن مجلس رسول الله  فأعرضوا عنه إعراضًا خطيرًا، وصدوا عنه صدودًا عظيمًا، ولكنهم الآن وقعوا في بلاء، ولا يرفع عنهم هذا البلاء إلا رسول الله .**

**وقوله: {ﮁ ﮂ} يعني: أن هذه المصائب، وهذا البلاء لا بد أن يقع بهم؛ لأنهم انحرفوا عن طريق الله انحرافًا خطيرًا. وقوله: {ﮂ ﮃ} هذا التنكير يعني أنها أي مصيبة، أو أي بلاء.**

**والسبب في وقوع هذا البلاء بهم كما قال تعالى: {ﮄ ﮅ ﮆ} وهذه العبارة تعني أن الإنسان في هذه الدنيا يقدم بين يديه عملًا، إن كان صالحًا كان التوفيق، وكان الأجر، والخير، والسعادة، والأمن، والاطمئنان، وإن كان الشر والكفر والنفاق -كما هو حال هؤلاء القوم- فهذا يؤدي إلى غضب الله ومقته، وأن يعذب هؤلاء، وأن ينزل بهم عقابه وبلاءه؛ لعلهم يرتدعون ويعودون إلى رحاب دين الله الحق.**

**{ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ} {ﮇ} حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، والتراخي هنا ليس تراخيًا زمنيًّا، بمعنى أنهم حين وقعت بهم المصيبة انتظروا فترة من الوقت، ثم جاءوا لرسول الله  يحلفون بالله بأنهم ما أرادوا بهذا إلا الإحسان والتوفيق. بمعنى: أنها تظهر البون الشاسع بين حالين؛ حال إنسان كان رافضًا كارهًا لرسول الله  يصد عن دينه، ويكيد لرسول الله  بكل ألوان الكيد، والآن وقد حلت به النكبات، ونزل به الكرب، ولم يجد له بابًا لرفع كربه وحل مشكلته وتطمين فؤاده، إلا أن يلجأ لرسول الله .**

**{ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ} {ﮈ} قاصدين إليك {ﮉ ﮊ} هذه العبارة بهذا الفعل المضارع، استحضار للصورة التي يكون عليها هؤلاء، وكأنك معي تنظر إليهم تشاهدهم، وهم جلوس يعلوهم الخزي، والندامة، والخسران، والحسرات، وهم يقسمون بالله جاهدين أنهم ما أرادوا بذهابهم إلى غير رسول الله  إلا الإحسان والتوفيق.**

**وهم يحلفون بالله مع أنهم لا يؤمنون بالله الإيمان الحق، فهذا حلف كذب، وحلف زور، وحلف باطل؛ لأنه نشأ ونبت من قلب فاسد؛ ولذلك نرى في مطلع "سورة المنافقون" أن الله يقول: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ} [المنافقون: 1].**

**فقول الله فيهم: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} شهادتهم بأن محمدًا رسول الله، هذا تعبير عن حقيقة صادقة، لكن لما كانت هذه الشهادة لا تنبع من قلب معترف برسول الله  وبصدق رسالته كانت شهادة كاذبة؛ ولذلك قال: {ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ} [المائدة: 107].**

**فهؤلاء حين جاءوا يحلفون بالله هم لا يؤمنون بالله حتى نرى منهم هذا الحلف، لكنها المماراة، ولكنه النفاق الذي جعل هؤلاء يقعون في سلسلة من الكذب المتواصل، وهذا الكذب يبدأ من حلفهم بالله الذي لا يعتقدون في وحدانيته، إلى كذبهم بأنهم حين ذهبوا إلى غير رسول الله  يطلبون منه أن يحكم بينهم فيما وقع بينهم من خلاف، ورفضوا حكم رسول الله  كانوا يريدون من ذلك الإحسان والتوفيق، أي: أن يتقربوا إلى هؤلاء، وأن يجمعوا بين القلوب، وهذا ظن فاسد، وقول كاسد، لا قيمة له، ولا حقيقة له.**

**والله  يخبر عن هؤلاء مهددًا لهم، ومتوعدًا وقائلاً: {ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ} {ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} هذه العبارة في هذه الآية فيها من إظهار شناعة ما صنعوا الكثير؛ لأن الله  يخبرنا بأننا لا نعلم حقيقة ما في قلوب هؤلاء، إنما هذا العلم مرده إلى الله  ومعنى ذلك أنهم يرتكبون أمورًا لا يعرفها إلا الله.**

**هذه الآية -كما نرى- جاءت إجابة عن سؤال مقدر مفهوم من الآية السابقة، ذلكم أن الله  حين قال: {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ} كأن رسول الله  وكأن المؤمنين يتساءلون: وماذا نقول؟ وماذا نصنع إذا ما جاء هؤلاء يحلفون بالله بأنهم ما أرادوا بتحاكمهم لغير رسول الله  إلا أمرًا حسنًا وتوفيقًا وجمعًا للقلوب؟ هل نصدقهم؟ هنا جاءت الإجابة: {ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ}.**

**انظروا معي إلى قول الله تعالى: {ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} فقد أشارت باسم الإشارة للبعيد؛ ليدل ذلك على بعد منزلتهم في الضلال، والكفر، والنفاق، والكيد للإسلام، ولرسول الإسلام، ولأهل الإسلام.**

**وقوله: {ﮑ ﮒ} استعمال اسم الموصول يدل على تفظيع وتعظيم ما فعل هؤلاء. و{ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} هذا العلم بهذا الفعل المضارع إنما هو دلالة على مواكبة علم الله لكل حركة، ولكل سكون لهؤلاء، وكم في هذا العلم من تخويف ومن زجر لهم.**

**والله  يعلم ما في قلوبهم، أي: ما تكنه صدورهم، وما يكيدون للإسلام، ولأهل الإسلام، ومعنى ذلك: أن الذي ظهر منهم في هذه الواقعة، التي رأينا منها بعض ما جاء في أسباب النزول، هذه مجرد حالة من الحالات، ولكنك لو اطلعت على قلوب هؤلاء الناس لوجدت فيها بغضًا، وحقدًا، وحسدًا، وكراهة شديدةً لأهل الإسلام، ومن هنا يأتي قول الله تعالى: {ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} لتكون إرشادًا للمسلمين وللمؤمنين ولرسول الله  بخطورة هؤلاء الناس، وأن الرسول  يجب أن يعاملهم بما يليق بحالهم.**

**فكيف يتصرف الرسول  مع أناس يحملون الحقد والحسد والكفر بهذا الدين، ويتظاهرون أمام رسول الله  وأمام المؤمنين بأنهم من أهل الإيمان الخالص، وأنهم على طريق الله وطريق رسوله، وأنهم حريصون على هذا الدين، وأنهم محبون لرسول الله ؟ بل إن هؤلاء يبالغون في هذا مبالغة عظيمة، ربما لا يستطيع المؤمنون المخلصون من أصحاب رسول الله  أن يقولوا مادحين لرسول  وللإسلام وللقرآن كما يفعل هؤلاء، وقد قال الله تعالى: {ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ} [المجادلة: 8].**

**والمعاملة التي يجب أن يعاملوا بها هي ما جاء في قول الله تعالى: {ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ}.**

**وهنا نرى أوامر ثلاثة، فالإعراض عنهم معناه أن لا يلتفت لكيدهم ومكرهم وحلفهم وأقوالهم؛ لأنها أقوال كاذبة، وهذا معناه أن لا يقبل منهم ما اعتذروا به، إن جاءوا يحلفون بالله بأنهم ما أرادوا بتحاكمهم إلى غيرك يا نبي الله إلا الإحسان والتوفيق لا تلتفت إلى هذا الحلف، وإلى هذا القول المعسول؛ فهو قول كاذب، عليك أن تعرض عنه، وأن لا تلتفت إليه.**

**أيضًا هذا الإعراض عنهم، يعني أن الرسول  لا يكلف بالبحث عن بواطنهم، إنما يكفيه ظواهرهم، وهذا من سياسة الإسلام في معاملة هؤلاء، أن يأخذ بالظواهر، وأن يدع البواطن لله ؛ لأنه لو لم يعرض عنهم، ولو آخذهم بما فعلوا وبما قالوا؛ لأنزل بهم العقاب، وفي ذلك ما يجعلهم لا يأتون لرسول الله  بل ويشتدون في الكيد للإسلام، وأهل الإسلام.**

**كما أن في هذا رسمًا لسياسة الخلفاء من بعده  لأنه لو آخذهم ولم يقبل منهم ظواهرهم، لادعى من يأتي بعد رسول الله  لكل إنسان بأنه منافق، وأنه يقول قولًا كاذبًا فيه. والأمر الثاني مرتبط بهذا الأمر؛ لأنه لا يعني الإعراض أن لا يتحدث إليهم، وأن لا ينصحهم، وإنما عليه أن يعظهم، وأن يقول لهم قولًا بليغًا يصل إلى قرارة أنفسهم، وإلى قلوبهم، وإلى عقولهم؛ لعلهم يرتدعون، ولعلهم يتوبون، فانظر إلى سياسة الإسلام في معاملة أعدائه.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**